المحاضرة الأولى
مدخل الى الايبسيمولوجيا (Epistemologie)

1- مقدمة:

يعد مبحث "الإبستمولوجيا من اهم المباحث الاساسية التي اهتم بها الفلاسفة منذ العصر اليوناني مرورا بالعصر الوسيط (المسيحي و الاسلامي) مرورا بالعصر الحديث الى العصر المعاصر . ولقد اشتد الجدل بين المفكرين حول مصطلح الإبستمولوجيا، خاصة بين الفلانسيين و الانجليزيين فمنهم من يراها من زاوية نظرية المعرفة ومنهم من يراها فلسفة العلوم.

و لمعرفة طبيعة هذا المصطلح يتوجب علينا طرح الأسئلة الأتية : ماذا نقصد بالابستيمولوجيا ؟ ما طبيعتها ؟ و ما موضوعها أو بصيغة أخرى ؟ ماهي المعرفة ؟ كيف نكتسب المعرفة ؟ ماذا يعرف الناس ؟ وكيف نعرف " أننا نعرف " ؟

2- توسيع :

مصطلح الإبستمولوجيا Epistemologie في اللغة الفرنسية مشتق من الكلمة اليونانية Episteme التي تعني "العلم" أو "المعرفة العلمية" والمقطع "Logie" الذي يعني في أصله اليوناني "Logos" أي "نظرية" ، وبالتالي فإن كلمة "إبستمولوجيا" تعني حرفيًا "نظرية العلم. "

كما يقدم "أندريه لالاند" تعريفاً للإبستمولوجيا في معجمع الفلسفي على أن هذه الكلمة تعني فلسفة العلوم ، والتي تعني (دراسة نقدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها بغية تحديد أصلها المنطقي "لا النفساني" ، وقيمتها ومداها الموضوعي).

نظرية المعرفةأوالإبستمولوجيا Epistemology كلمة مؤلفة من جمع كلمتين يونانيتين *episteme* : بمعنىعلم و*logos*بمعنى : حديث ، علم ، نقد ، دراسة فهي اذا دراسة العلوم النقدية . تعتبرنظريةالمعرفةأحد فروع الفلسفةالذي يدرس طبيعة و منظورالمعرفة، المصطلح بحد ذاته) إبستمولوجيا) يعتقد أن من صاغه هو الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريدريك فيرير. يعرفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها فلسفة العلوم ، وهي تختلف بهذا عن علممناهج العلوم (ميثودولوجيا) لأن الايبستمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة انواعالعلوم و فروضها و نتائجها لتحديد أصلها المنطقي و بيان قيمتها.

ويجري اليوم في دائرة علم المعرفيات ، لا في حقل نظرية المعرفة ، الحديث عن أنواع من الأبستمولوجيات:

أولاً – الأبستمولوجيات الفلسفية:

وتشمل صوراً من المعرفيات التي ضمها تاريخ الفلسفة اليونانية (أرسطو - أفلاطون)

والفلسفة الإسلامية (الفارابي- ابن سينا - ابن رشد)

والمسيحية (كوبرنيكوس - غاليلي) .

و الايبستمولوجيا الحديثة مع (ديكارت- فرانسيس بيكون- كانط) .

و الايبستمولوجيا المعاصرة أو الايبستمولوجيا المفتوحة (غاستون باشلار –توماس كون- لاكاتوش- كارل بوبر-).

***الإبستمولوجيا الكلاسيكية** : رغم أن الفلسفة اليونانية هي المرجعية الا أننا نحاول الانطلاق من

أ –**الإبستمولوجيا الحسية:**

أو المعرفيات التجريبية وهي نوع من المعرفيات تعتمد " الحس " أو " التجربة " طريقاً وحيداً لإكتساب المعرفة . وهنا الإستناد جاء على طريق المعرفة وليس على نظرية المعرفة . وقد جاء التأسيس لهذا النوع من الأبستمولوجيات في كتاب " فرنسيس بيكون " (1561 – 1626 م) الذي عنوانه " الأورغانون الجديد " أي المنطق الجديد . والذي طبع في اللاتينية أولاً في العام 1620 م ، ومن ثم ترجم وطبع بالإنكليزية في العام 1863 م . وإن الأسم فيه إشارة إلى " أورغانون أرسطو " . فالأرغانون الجديد عند بيكون هو نظام جديد في المنطق يعتمد الإستقراء بدلاً من الإستدلال . ولهذا كان بيكون يعتقد أن أورغانونه له السلطة العليا على الأورغانون القديم .

ومن ثم تتوجت بنزعة " جون ستيوارت ميل " (1806- 1873) الحسية المتطرفة والتي ظهرت في كتابه المعنون " نظام علم المنطق " والذي نشره في العام 1843

ب –الإبستمولوجيا العقلية:

إنه إتجاه معرفي حديث يعتمد " العقل " الطريق الوحيد لإكتساب المعرفة . إن هذا الإتجاه إرتبط بنخبة من الفلاسفة العقليين الذين إنتجوا لنا نصوصاً أبستمولوجية في غاية الأهمية في تاريخ الأبستمولوجيا عامة والنزعة العقلية على وجه الخصوص ، كان في طليعتهم الفيلسوف الفرنسي " ديكارت "(1596- 1650) والذي ركز مشروعه الأبستمولوجي في كتابه المعنون " تأملات في الفلسفة الأولى " والذي صدر لأول مرة باللغة الاتينية في العام 1641 ، ومن ثم ظهرت له ترجمة فرنسية في العام 1647 ، وبعد أكثر من قرن ونصف جاءت الترجمة الإنكليزية (التي قام بها جون فيتش في العام 1901.

ومن ثم جاء " باروخ إسبينوزا " (1632- 1677) وهو من أكبر الفلاسفة العقلانيين ، وقد تأثر بكل من " إقليدس " (عاش بحدود 300 ق.م وهو صاحب كتاب الأصول في الهندسة) و" ديكارت " . وفي أبستمولوجياته كان يتطلع إسبينوزا إلى صياغة مكوناتها على صورة موديل هندسي . وفعلاً نجح إسبينوزا في كتابه " مبادئ الأخلاق " في بناء الأخلاق على صورة مصفوفات هندسية تبدأ بتعريفات وبديهيات ... . وفي مضمار عمله في الأبستمولوجيات العقلية ، أعتقد إسبينوزا " في إمكانيته إمتلاك المعرفة الأولية " ومن ثم حدد ثلاثة أنواع من المعرفة.

ج- الإبستمولوجيا النقدية:

إنها إتجاه أبستمولوجي حديث مارس عملية النقد للإتجاهين المعرفيين السابقين (أي نقد للأبستمولوجيا الحسية والعقلية على حد سواء) . ومثل هذه النزعة الأبستمولوجية في تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة ، الفيلسوف الألماني " عمانوئيل كانط " (1724- 1804) هو فيلسوف ألماني ، وهو آخر الفلاسفة المحدثين ،الذي كان له تأثيراً واسعاً في عموم البيئات الفلسفية الأوربية عامة والأبستمولوجية خاصة . وفعلاً أن كانط في طرف من كتابه أنتقد الأبستمولوجيا التقليدية : أبستمولوجيا التجريبين والعقليين . وفي طرف آخر القى الضوء على النهج الكانطي في تأسيس أبستمولوجيا نقدية .

1- خاتمة:

مما تقدم نستنتج أن إن العلم لا يفهم بدون إطاره الفلسفي والتاريخي، والفلسفة هي تلك الشجرة الضخمة التي تؤلف الميتافيزيقيا فيها الجذور العميقة الضاربة في التربة، والعلوم المتفرقة بما فيها الطب والهندسة والكيمياء والكوسمولوجيا والانثروبولوجيا و السوسيولوجيا هي فروعها الممتدة في السماء.كما أن هناك علاقة جدلية بين العلم والفلسفة، فالعلم يقوم بقفزات نوعية من حين لآخر منشئاً قطيعةً معرفية "ابستمولوجية" مع المستويات العلمية السابقة، كما حدث مع فكر "ابن رشد" والفلسفة اليونانية؛ حيث تم الدخول إلى فضاء معرفي جديد، يقوم على منظومة الشك ـ اليقين، والتجربة ـ الاستقراء.

1-محمد جلوب الفرحان ؛ الخطاب الفلسفي التربوي الغربي ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت 1999 ، ص ص 147 – 148
2-مجلة أوراق فلسفية جديدة / المجلد الرابع / العدد السابع / صيف 2012